

دنيا ميخائيل

يوميات موجة خارج البحر

الجزء الأول

1995

## الجزء الأول

١٩٩٤ - ١٩٩١

في طفولتي كنتُ أحسد نفسي لأنني طفلة.  
كنتُ أظن ان كل شخص يُخلق هكذا.  
يُخلق طفلاً أو شيخاً أو أمماً.

كنتُ أحزن لأجل أُمي لأنها - بحكم سنها - لاتقدر أن تعبت مثلي بالرمل  
أو تقفز فوق السرير أو تختبئ تحته  
أو ترمي الحصى في البحر لترى الدوائر تكبر حد التلاشي.  
فكنتُ كل يوم أصلي وأحمد الله لأنه خلقني طفلة.

عندما كبرت، لم استطع التخلص من أن أحسد نفسي المعبأة بالطفولة.

كنتُ أعدُّ الأحلام بأصابعي وأبكي لأن عدد أصابعي لم يعد كافياً!  
كنتُ أبكي أيضاً حين أراني في الصور  
وأصرخ: أخرجوني من الصورة!

في فضاء لامتناهٍ من الذكريات، تتراعى آلاف الأشرطة الموسيقية  
وصور فوتوغرافية هائلة.  
كل صورة تأطير للحظة هاربة.

ولأنني لا أحبُّ الأطر، كسرتها كلها لتخرج منها آلافُ الأشياء  
والناس  
والنجوم  
والطيور  
واللحظات  
متناثرة في أفق رمادي مكسور.

\* \* \*

في طفولتي، رسمتُ جيوشاً من الغبار  
ووشاحاً يتهاوى خلفها.  
رسمتُ عدداً لأُحصي من المرايا  
وأحلامي التي انعكستُ فيها.

رسمتُ البحر  
وكائناتي التي ماتتُ فيه.

رسمتُ القمر  
وعزلتي التي تكورتُ حوله.

رسمتُ رحيلك  
ودموعي التي ارتكبتُها لأجلك.

رسمتُ أجنحة  
لأرحل معك

والخ.

\* \* \*

في طفولتي .. جلب لي أبي رقعة شطرنج قائلاً: هذه هي الحياة.. أبيض وأسود.  
حين رقد في المستشفى، كان كل شيء أبيض: الجدران، الشراشف، صدرية الممرضة ، قلب  
أبي وجليد الأطباء.  
وحين خرجتُ من المستشفى، كان كل شيء أسود: الوقت، ملابس النسوة، الصور، الليل  
والنهار.

حين طال غياب أبي  
بكيت  
ماكنت أبكي غيابهُ  
كنتُ أبكي حضوري!

\* \* \*

والحبيب غابَ أيضاً  
والشمسُ  
والقمر.

ذات مساء .. لا .. ذات صباح .. لا .. لا أدري .. ذات انتظار .. مرَّ الموتُ من أمامنا مثلما كان  
يفعل كل يوم، ولم أكن وحدي أنتظر بل النهر أيضاً والدخان المتصاعد من الانفجارات ومن  
سيجارة عاشقٍ يتأمل وحدته مثل بيدق في زاوية الرقعة...فضلاً عن ضجيج الوقت يدق على  
طبله أذني مثل عازف مبتدىء، شخير الخوف وأنين الأشجار.  
على الرغم من ذلك، غفوتُ لأراك في حلمي.  
وعبتاً بذلتُ جهدي لأظل في دائرة الحلم.  
وحين صحتُ، تحسستُ نبضَ قلبي لأتأكد من وجودك!  
كان حبك يمشي متعثراً على الضفاف، لكنني كنتُ أعرف ان أحلام الحجر هي وحدها التي لا  
لاتتصدع وقلب الحجر وحده الذي يبقى.

يدعوني الآخرون لأن أكنسَ عن جثةٍ غبارَ أيامك  
وأدعوك لأن تنادينني  
لا لأجيب أو لأظهر  
ولكن لأنني أحب نداء احبائي لي.

عندما قلتُ يوماً: أحبك  
كانت أحلامي تنهض من قبرها وتتراقص حول الكلمة  
وعندما رأيتك يوماً وأنت تبتعد - حتى صرت أبعد الي من نفسي - رأيتُ أحلامي تلك وهي  
تعود الى قبرها.

\* \* \*

ظلك يجلس القرفصاء على عقارب ساعاتنا ويدور .. يدور .. مثل رأسي .. لا .. ليس مثل  
رأسي .. بلى .. مثل رأسي .. أه .. أين تقع الأرض؟  
من المؤكد انها لا تقع في الذاكرة.

ترحف الشوارع، تتقاطع في عروق يدي.  
تختلط في الذهن ملامح المدينة.  
تختلطُ الأسماء..

الوجوه..

الأقنعة..

التواريخ..

الفصول..

من أين لي القدرة على ترتيب كل هذه الأشياء في الذاكرة؟

قالوا:- لماذا لا تبادرين بالتحية حيت ترين أحداً أمامك؟  
في اليوم التالي .. لوحتُ بيدي طويلاً، ولم أجد أحداً أمامي!

\* \* \*

تحوم حولي الذكريات مثل الذباب بطنينه الصاخب.  
كلها أسف وأخطاء تشكل منجزات الخراب اليومي الذي علمني ان لاشيء يملك ظلاً بحجم  
الذكريات الا اللحظة التي يتحول فيها الخشب الى ربابة.

رسمتُ أخطائي فراشاتٍ وسلطتُ عليها النور لتحترق.  
تراجعتُ.. عرفتُ ان للأخطاء فضيلة تلك الرؤية الموجية التي تلطم شاطيء الحواس السبع  
فتجعل الاوراق تتناثر وتجتمع وتضج بالهواجس والأسئلة، فنعيد حساب بعض الاشياء  
الضائعة، ليس بسبب اللامبالاة وانما من فرط ضوئها الدامس مثل وردة تموت من فرط العبير.  
وكلما ازداد الظلام تتضح الرؤيا.

الطرقات

الأشجار

الأنهار

النوافذ

كل هذه الأشياء التي لاتعرفني، أعرفها جيداً.

انها تشبه دمعتي لحظة ظل زائف.

تقول الاغنية: "لو كانت الارض مربعة

كنا اختبأنا في احدى الزوايا

لكنها كروية

لذا علينا مواجهة العالم."

هل تعرفون اني كنتُ أطيير؟

نبئت لي أجنحة، انظروا!

كنتُ سأعلو أكثر لولا المحاة التي مرتُ على الأفق.

وفي اللحظة الفاصلة التي التقت فيها السماء مع الأرض، خرجت تلك الروح الهائمة من الجسد الأرضي المتعفن لتهيم في مملكة اللاوجود. وقبل أن تصل الى هناك، ارتطمت بالغيوم فامتلاً الفضاءً بغربتها وأحلامها وذكرياتنا التي تنهمر ويحسبونها مطراً.  
في لحظة الارتطام تلك ، تفتت الرأس فانطلقت من انسجته ملايين الطيور فوق بحر من الانكسارات التي تتداعى مثل طائرات ورقية فلتتُ خيوطها فحلقت فوق النجوم الممتدة أمامك ولعل ذلك يفسر ارتباط النجوم بالظلمات.

".. ورأيت النجوم متعلقات كتعليق القناديل في المساجد  
ثم صعدتُ الى السماء في أسرع من طرفة عين، فاذا هي سماء من دخان  
وفي اليسار رأيتُ شجرة عظيمة ما عليها ورقة الا عليها اسم..."  
وكانت الورقة التي عليها اسمي قد تساقطت عن غصنها متخذة شكل طائر.  
أوراق خضراء وأخرى صفراء  
تساقطت عن أغصانها  
عليها أسماء تعرفها  
وأخرى لا تعرفها.

\* \* \*

كيف سبيل العودة الى الارض؟  
الأرض فيها عصافير تنقر في الذاكرة  
لذلك الذاكرة مثقوبة.  
أريد أن أضع قدمي على الارض  
لأعرف قانون الجاذبية.  
فهنا .. في الأعالي .. لا جاذبية تسندني ولا ذكرى.  
انه انعدام في الوزن وفي التفكير وفي كل شيء..

هل يحق للموتى انتحار ثان ؟  
وهل يضمن ذلك عودةً الى الأرض؟

كيف وأنا محض روح ترفرف فوق أشياء لا أعرفها  
وأمكنة ليست موجودة؟

كيف تفجّر كل هذا الغياب في داخلي؟  
وكيف أنفقتُ روحي بكل هذا البذخ؟

أريد قليلاً من الأرض تحت قدمي..  
ما زال كل منا – أنا والأرض – يعتقد انه دفن الآخر في داخله.  
ترى من منا فعلَ أولاً؟  
ومن أجلسَ الشمسَ على عتبة القلب هكذا  
ليظل متوهجاً ليل نهار؟

كل يوم أحملُ نفسي  
أرثُ عليها الماء  
لعل هدوءها يأتني..

يُخيل الي أحيانا ان الحرب قد انتهت  
فتدب الحياة في جباه الجثث لحظة واحدة..  
لحظة واحدة تكفي..  
لحظة بحجم طلقة..

هل توقفت الحرب فعلاً؟  
أه.. هل يتسع العمر لكل هذا اللهاث؟  
هل توقفت الحرب؟  
ماذا سنفعل الآن بلا أعداء؟!

\* \* \*

تجولتُ بين الانقراض  
مثلما تتجول الكلمة في القواميس  
لتبحث لها عن معنى  
فتراها لغة خالية من الافعال  
وتراني فعلاً ماضياً عبثاً تحوله الى مضارع.

قالوا: خلف كل نافذة، مهما كانت صغيرة ، يتراءى أفق ما.

منذ أن سمعتُ ذلك وأنا أرسم نوافذ  
لاتفضي الى شيء أبداً .

رأيتُ العصافير تكتب يومياتها.  
تقول انها تقفات على قلبي.  
تقول ان حبة عشق واحدة  
تكفي لتقتات عليها مدى العمر.

أفتحُ نافذة القلب  
تطيرُ منها كل العصافير  
تذهب الى الحرب لتعيش في خوذ المقاتلين المعبأة بالذكريات والقمر

في الحرب تجفل الذكريات

أقبض كفي على وطني  
أبسطها

لاشيء غير لهاث  
وطلقة بلحم الاماني

وحلمٌ طحين  
يركضُ العمرُ ورأني

أختبئُ

لكنه حين يفر من أمامي  
أتبعهُ

لأللم عن وحشته

هذا الطير المتناثر – وأنا بعضُ رعشته –

أمنية واحدة تكفي

لنترك الأبوابَ مشرعةً للنهار

ونسَمِّي الشمسَ شمساً

أمنية واحدة تكفي

ليتصاعد الكونُ من القلب مثل البخار

في البدء كانت الأمانى

تحملني وتدور بي

أحملها وأدور بها



ندور.. ندور  
تدور الليالي  
والأمانى تبقى أمانى.

ذات صباح بارد، شعرتُ بأني اليوم سأموت.  
فهيأتُ نفسي للموت تماماً  
أكملتُ قصيدتي الأخيرة  
رتبتُ كفني  
واشتريتُ بعض الأزهار لينثروها عليَّ  
فكلانا - أنا والموت - نحب الأزهار.  
قلتُ لنفسي: هل نسييتُ شيئاً قبل أن أموت؟  
تذكرتُ أنني لم أضع علبة الشطرنج في مكانها  
وخفتُ أن يزعلَ مني الملك  
فوضعتُ الأحجار في مكانها على الرقعة.

في فجر اليوم التالي .. رأيتُ الأحجار تتراكم نحو الملجأ وهي تفكر: "لماذا علينا الأختباء في  
الملاجيء بينما السماء صافية؟"  
تكوّرنا في زاوية واحدة  
من دون أن ندري أن كنا نرتجف برداً أم خوفاً من "الكيمياوي".

في غرفة بيضاء  
كان الثلج في داخلنا  
يلامس قلب الظلمة..  
بدت لي الجدران ترتفع من حولنا شيئاً فشيئاً  
والسقف ينخفض فوق رؤوسنا..  
اجتمعتُ كل الأشياء  
وتكورتُ حول نفسها لتتخذ شكل قذيفة  
موجهة نحو هذا الرأس  
الذي تحول الى سلة مهملات..

وقبل أن أعتذر للقذيفة  
عن الفراغ الشاسع في رأسي  
تطايرتُ أنسجةُ الدماغ مع الذكرياتِ عصافيرَ جريحةً

وأخذتُ تستطيل فوق الرأس مثل شاهدة.

في زاوية ضيقة من القلب  
تلمستُ لحظةً هي العمر كله.

كان البرق في الخارج والداخل  
رمال متحركة ترتمي بين نبضة وأخرى..

- لكنني لم أجد آثارَ أقدامك  
- هل نسيتُ أنني جئتُ محمولاً؟

\* \* \*

حين بدأ العُدُ التنازلي،  
تحدثتُ قارئةً الفنجان عن يوم القيامة  
وأنا أفكر : لماذا اذن لم تتحقق الأشياء التي روتهُا لي جدتي ذات يوم قائلة أنها مدونة في  
الكتب؟

الأ يتحتم على التاريخ أن يفرغ ما في جعبته  
قبل يوم القيامة هذا ؟  
ولماذا لم تقل لي جدتي أن أيامنا ستوضع في المعلبات  
وأن الناس سينحشرون في بقع صغيرة مثل سمك المعلبات  
وأن تكنولوجيا الحلفاء المتطورة ستحاول التهامنا بدل المعلبات  
وأنها ستعلنُ ساعة الصفر المئوي فترتعش "الراء" من البرد - الراء التي تفصل ما بين الحب  
والحرب.

حدث ذلك في ١٧-١-١٩٩١ فجراً أو ليلاً، فالليل يليق بالكوابيس وبالقمر الذي - بحكم موقعه  
القريب من الطائرات - أصبح شاهداً على كل ما يسقط - كان كل شيء يسقط .  
وكم بدتُ صورته شاحبة حين انعكستُ في مياه دجلة ذلك المساء!

كانت شجرة العيد ماتزال هناك على الرغم من مرور اسبوعين على قدوم السنة الجديدة التي  
كانها تغشينا فلا تقدم لنا ٣٦٥ يوماً بالتمام.

كانت الأشياء في الداخل والخارج تضيء وتنطفئ مثل شجرة العيد  
وكنا متكورين في إحدى الزوايا

ترتعثُ الرأءُ في فجرنا وخرابنا وحرأئقنا.  
كنا في أيدي الحلفاء مثل علية سجائر  
وكلما مضت الدقائق بدبابيسها ازدادت نسبة الدخان في المدينة..  
كنا نتناسب عكسياً مع الدخان وطردياً مع الشموع  
كنا نستنشق الموت ونحرق مثل الدمى الى لا مكان.

رأيتُ جارنا البستاني يزرع البنزين في الحديقة  
هل سينبتُ الحريقُ؟

خزانات تُملاً بالبنزين وبالأسئلة  
ومقالات تتحدث عن نظرية موت المؤلف و النخيل.

عينان مسمرتان على شاشة التلفزيون

والبلدُ عصفورُ مخنوق  
بين قبضتين تتصافحان بشدة.

المذيع يتلو نشرة الأخبار  
وفقاعات تخرج من فمه.  
تمرُّ الطائرات فوق صخرة "الكو" فيهتزُّ الصوت في الأغصان.  
النجوم تسقط..  
ترددُ "الكو": تسقط.. تسقط ..

مُلاَّتُ الخزانة ببنزين وخوف وارتباك..  
ذهبنا الى قرية تكليف.  
رأيتُ الكلدانيين يسهرون على أغنامهم حتى في الحروب.  
في غرفة بلا سقف جلستُ أنظر الى الديكة  
وهي تتقاتل فيما بينها من أجل أشياء غير مفهومة..  
"ليس للانسان فضل على البهيمة.. كلاهما يذهب الى مكان واحد" هكذا يقول سفر الجامعة.

كانت القرية أصغر من مقبرة  
وأوسع من كوكب الزهرة الذي سقط في تنور خالتي  
لذلك كان لخبزها طعم الورد.

مرةً أخرى

ننحني

لتمر من فوقنا الحرب

هم جالسون بهدوء أمام شاشاتهم الالكترونية

يدوسون زراً

ليشطبوا أجنحتنا الممزقة

قبييل تحليقنا المنخفض فوق خرائبنا.

يدوسون زراً آخر، فتنتطلق طائراتهم الينا من جديد

وكأن كل ما غزله الآتهم الجديدة من جحيم

لا يكفي ليعادل جنة لقائنا بأحبائنا من جديد.

تُرى ماذا كان شعور بابا نويل القرن العشرين

وهو يحمل كيس الشظايا الى أطفال العراق؟

وماذا كان شعوره حين أعادوا اليه الكيس محملاً ببعض الهدايا، منها اصبع مبتور وضميرة

حمراء وأشلاء كتاب ودمية مهشمة وبطاقة احتجاج؟

تُرى ماذا كان شعور النقاد الذين ربطوا علم الجمال بنظرية الانشطار

وهم يرون القنابل تنشط فوق مبنى اتحاد الأدباء وهو يغازل أكاديمية الفنون الجميلة،

فوق جسر الجمهورية وهو يرمي في النهر، مضطراً، كل الوعود التي همس بها الطلاب

لحبيباتهم، فوق شارع الرشيد "أبو النهار" و شارع أبي نؤاس "أبو الليل"،

فوق تمثال السياب بجيبه المثقوب أصلاً،

فوق كلكامش وهو يفتش بين الأنقاض عن الخلود؟

في ذلك المساء حين اقترح المطرُ علي دمعة

فكرتُ بشعراء الثمانينيات وهم يغنون أجنحتهم المؤجلة

وبصديقتي هدى التي تقول ان الورود تذبذب بسرعة حين لا نهديها لمن نحب.

كانت عقارب الساعة تتفتت

مخلفةً حيواتٍ من ظلمة ورماد وانكسارات حادة في القلب- حين قشرتُ الانكسارات وجدتُ في

داخلها انكسارات.

انفرطتُ حباتُ القلب

وأمتلاً الوقتُ بالغياب.

أنهم يرتلون النشيد  
أقصد النشيد.

تقول الاذاعات أن طائرات الحلفاء تقذف قنابل عنقودية فوق الملاجئ والجسور ولم اسمع قبل  
ذلك بغير عنقود العنب.

أيها العمر – الجسر المعلق بين حربين.  
ألا يحلو لوردة الآخرين أن تتفتح الا عند بقايا رمادنا ؟

الرسائل لا تصل  
الهاتف لا يرن  
لاشيء سواي يرن  
كم الساعة الآن ؟  
هل انتهت الحرب ؟

هل يعودون ؟

هل كان في السماء متسع للطيور  
حين داهمت الطائرات أحلامنا  
وحولت كل شيء الى طحين ؟

كان ليلاً متطرفاً  
فبعض سكانه لم يذق طعم الرقاد  
وبعضهم رقد الى الأبد.

وحين تكاثرت البقع الضوئية في الظلام،  
فقدت الاشياء التي في الجو صوابها..  
لم تكن تعرف هل هي طيور تحولت الى طائرات  
أم طائرات تحولت الى طيور متوهجة ؟

كان كل شيء يهتز..  
المدينة والناس الذين في المدينة  
والقلوب التي في داخل الناس  
والناس الذين في داخل القلوب..

كانت الطائرات تحلق فوق عاصمة تضخ سكانها الى القرى  
نحو مصير مجهول  
واسئلة أطفال لا يملك لها الكبارُ أجوبةً مقنعة.

طائرات تحلق فوق ساحة التحرير  
وترسم الحيرة في عيني جواد سليم  
بعد أن هجرتُ خيولهُ العاصمة.

طائرات تحلق فوق الملاجئ  
فوق الأنقاض التي نبتت في الملاجئ  
فوق الأطفال الذين ناموا تحت الأنقاض  
فوق الأشلاء التي كانت أطفالاً قبل قليل  
فوق الفحم الذي آلت اليه الأشلاء  
فوق الجدران التي امتزجت بالفحم  
فوق كل قطرة دم على الجدران..

في الحرب، لا أحد ينجو من الموت  
فالقتيل يموت جسدياً  
والقاتل يموت انسانياً.

في هذا العصر الذي تطفو فيه كلمات مثل: صواريخ .. طائرات .. قصف .. حصار .. عقوبات ..  
شعارات ..

في مثل هذا العصر، لا يكون انتحار روميو وجوليت حباً بل غيظ واستهجان.

دخان  
دخان يتصاعد من البيوت المحترقة  
ومن سيجارة جندي امريكي يحس بالذنب  
ومن ذيل قطرة.

من عاصفة الصحراء تهوي طيورُ الفضيحة  
والملوك يبتسمون لتماثيلهم  
ويصلون: النفط أكبر..  
بينما الأتهار تواصل جريانها الطبيعي وكأننا لامرئيون – غائبون دائماً تحت الأنقاض.

الكارثة تسهر علينا في الليل – ليلنا المتكرر الى ما لا نهاية – مما يدلُّنا على فعل بلا فاعل ولا مفعول.

وها اننا، عبثاً، نحاول أن نقفز فوقها – فوق الكارثة.  
فنسقط من لا مكان في كل زمان..

نتعرف على الموت في غير وقته  
ولا أحد يستخدم "الفيتو"

أنت تفكر، اذن أنت تعرف الكارثة.

قرأتُ مرة أن المفكر الفرنسي موريس بلانشو قال:  
في حين تنتزع منا الكارثة هذا الملجأ الذي هو فكر الموت وتصرفنا عن المذهل أو الفاجع وتغنيينا  
عن كل ارادة وعن كل حركة، لا تتيح لنا، اضافة الى ذلك، أن نجازف بهذا السؤال : ماذا فعلت  
لكي تعرف الكارثة ؟

\* \* \*

في ١٦-١-١٩٩٣ ليلاً ، عادت الطائرات  
بنعيقها المربك وصفارات انذارها..

في البداية ظننتُ أن ما اسمعهُ هو من تأثير الاستذكار  
وأنَّ الأصوات التي ترن في اذني منذ سنين قد تعالت حتى خرجت من الورقة الى الهواء..  
رنَّ الهاتف. كان صوتُ شاعر على الطرف الآخر:

- ألو.. هل سمعتِ الأخبار؟

- أي أخبار؟

- لقد سقطتُ طائرة.. وهل ذهبتِ الى المطبعة؟ وهل...؟

تعالتُ أصواتُ الطائرات

وخفتَ صوتُ الشاعر.

أغلقتُ السماعه وأنا أشعر بأنَّ السماء لا بد ان تسقط يوماً فوق رؤوسنا.

عادت طائراتهم تدس مناقيرها في هوائنا..  
أحدثت في جدار القلب ثقباً  
من هذا الثقب يمكنك أن تشاهد الكارثة.  
هم جلبوا القير والسمنت  
وأغلقوا الثقب  
أغلقوه بإحكام  
لكنهم أبداً لن يتمكنوا من اخفاء الخراب الذي وراءه..

في يوم ما.. سيأتي بعض الفضوليين  
ليفتحوا الثقب من جديد  
ويتفرجوا على بقايا الانهيار..

بلى، أيها الطيار، يمكنك أن تحطم الانسان في الظلمة  
ولكن هل بوسعك أن تهزم الليل  
الذي سيهبط الى قلبه ؟  
بلى، يمكنك أن تقتل الانسان بالآتك المتطورة  
ولكن هذا لا يعني انك هزمته.  
ألم يخبرك همغواي بذلك؟

بالمناسبة، رأيت همغواي البارحة وقال لي: من وجهة نظر الطبيعة، ليس هناك فرق بين موت  
انسان وموت ورقة شجر.  
لم يصدقني حين حكيت له عن عودة الطائرات الى سماء لما تزل تلتمع من الحزن وتنتثر دموعاً  
سوداً الى الارض التي وقفت أمام المرأة عابسةً بعد أن أشار اليها طفل وقال: لست أجمل  
الكواكب.

بدت سميحة جداً لكثرة ما ابتلعت من الشهداء.  
القمرُ هجرها  
فحزنت كثيراً وصارت تدخن بإفراط.  
أختنق بنو البشر وظلوا يسعلون.

دخان.. دخان يتصاعد من بقايا الأشياء..  
تسلل الدخان الى القبور  
فمتى تبتكرون موتى لا ينفذ اليهم الدخان؟

الأرض خانقة وبعيدة عن بسمة الطفل.



لا خفة الريش ولا الأحلام تكفي  
لحملها بأقفاصها الزجاجية  
كل زجاج مشروع انكسار.

كان القفص المتدلي من عمود في باحة دارنا يشبه المشنقة.  
في القفص اربعة عصافير لا تزقزق – لم أدر إن كانت حزينة أو خرساء.  
واحد منها مات بعد أيام قلائل – هكذا من دون أن يتفوه بشيء.  
دفنته في الحديقة.

وبعد أن غرستُ في ترابه زهرة حمراء بمثابة شاهدة،  
سمعتُ، لدهشتي، زقزقة متواصلة تنبعث من براعم الأزهار  
ومما زادني دهشة انني حينما تقدمتُ لأقطف أحد تلك البراعم،  
رأيتُ قطرات من دم على أوراقها.  
فركتُها لأتأكد مما أرى  
فامتلأتُ يداي بالريش.

في الليل، فتحتُ باب القفص  
ترددت العصافير الثلاثة في مغادرة مكانها  
ساعدتها بأن أمسكتها وبسطتُ يدي  
الى الفضاء الواسع أمامها.  
أخرجتها واحداً تلو الآخر  
وكأنني أنقذُ مملكة من الهلاك.  
حدقتُ اليها وهي تطير  
ومن فرط نشوتي تركتُ باب القفص مفتوحاً.  
في صباح اليوم التالي، سمعتُ جدتي تقول ان القطة قد اكلتُ عصافيرنا الوديعة.  
تدمرتُ: لا تسلّمُ العصافير حتى وهي في القفص.

وكنتُ كلما وجدتُ طائراً في قفص  
أتحولُ الى جدران أربعة.

\* \* \*

في احد ايام الأعياد ، أذكرُ أنني ذهبتُ الى الكنيسة  
وخرجتُ من بين جموع المصلين الى شمعة في العراء.  
وقفْتُ أتأملها حتى ذابت متخذة شكل طفل في حضن مقلوب.

تقدم نحوي شخص يرتدي البياض  
أعطاني الكتاب المقدس قائلاً انه رأى في عيني بريقاً غريباً.  
قلتُ ربما لهب الشمعة فعل فعله.  
لكنه أوحى إليّ بأنني قد أصبحُ رسولةً ذات يوم..  
بقيتُ مشدوهة مدة غير قصيرة  
لا أتكلم ولا أفعل أي شيء..  
كنتُ أفكر كلما رأيتُ شخصاً أعرفه:  
تُرى ماذا سيكون ردُّ فعله اذا تحقق كلامُ الرجل ذي البياض؟  
منذ ذلك الوقت وأنا أنتظر من دون جدوى ملاكاً أو وحياً  
يبلغني برسالته حين أنام..

كانت احلامي أو كوابيسي تتكرر:  
نجوم ترتجف في البحر  
وأفق يبتعد مثل صدى..

مرة رأيت حجارةً هائلةً تتدحرج من مكان مرتفع  
وأجنحةً تتناثر  
مثل جيش مهزوم.

كمثل السائر في نومه  
نمضي الى الحرب  
ونغط في قمامة عميقة.

\* \* \*

كان الطفل يهيه قبضته في الحلم  
وهو يسمع نداءً متكرراً:  
اضرب أعداءك..  
اضرب..

نهض الطفل يسأل أمه: ما الأعداء يا أمي؟  
- أنهم أولئك الأشباح الذين يقفون خلف الخط موجّهين بنادقهم الى القمر.

- لكن القمر مشترك بيننا وبينهم

فهل يضربون الجزء الذي يخصنا؟

- أجل.. أحياناً يصيبون الهدف  
فيسقط نصف القمر أو أكثر  
فيصير هلالاً  
وأحياناً يختفي.

- هذا يعني انهم أحياناً يصيبون النصف الذي يخصهم ايضاً ياأمي

- نعم، وهذا مايسمى بالتضحية.  
يضحون بما لديهم  
من أجل القضاء على مالدينا.

- وماذا يربحون ياأمي؟

- يفسدون علينا الفوز

- ما الفوز؟

- يكتبون علينا الخسارة

- ما الخسارة؟

- خسارة الفوز أو فوز الخسارة

- متى نغادر؟

- الى أين؟

- الى حيث لايسقط القمر.

\* \* \*

البارحة سقط القمر في التنور  
ونضج مع الخبز

فأخطأتُ في صلاتي هكذا: أبانا الذي في السموات  
اعطنا القمر كفافنا اليوم  
أردتُ تصحيح العبارة فأكملتُ: واغفر لي اني أكلتُ القمر.

أعرف انك في كل مكان لكني أرقب أغنيتك وكأني انتظرُ مفقوداً.

كل يوم، نكتبُ أمنياتنا في وريقات صغيرة ونضعها في كيس.  
هل صحيح ان الشيطان يأتي كل يوم ويأخذ الكيس الى الجحيم؟  
اوقفهُ يا أبانا.. اوقفه في الطريق.  
ولكن لاتنثر علينا الاوراق..  
انها ثقيلة..

وحتى إن لم تكن ثقيلة..  
يكفي انها تجعلنا نحس بأننا نكذب.  
نكذب على أنفسنا.  
أنت أوصيتنا أن لاتكذب يا أبانا.

جنودنا نبتوا في الأراضي البور  
وبعضهم طار الى السماء ضارباً الغيوم- التي ظننا الأعداء- بأجنحتهِ المدببة  
مسبباً سقوط المطر من عيون الأمهات.

ماذا قلتَ لهم بعد أن فتحتَ السماء؟

بلدنا ينام وهو واقف  
زمنهُ يمشي واقفاً  
قلبه يُدق واقفاً  
فلنقف دقيقة حداداً..

آه.. يا بلداً يملك ابرة (حادة، رقيقة، واخزة)  
من خرمك  
يدخل التاريخ  
وتخرجُ خوذ مثقوبة

اهتزازاتٌ متكررة تجري على أرضك

وكأنَّ أيادي خفيةً تهزُّ أشجارك ليل نهار.

حاصروك وطردوا ذرة الاوكسجين عن مائك  
وابقوا ذرتي الهيدروجين تتعاركان.

أما كان ينبغي للشعوب أن تضطرب أمام طفل يغلق فمه وعينيه  
باستسلام أمام قرارات الأمم المتحدة؟

لكنها اكتفت بأن فتحت فمها قليلا- أقل مما تفعل البراعم-  
وكأنها تتنأب أو تبتسم.

وجعلنا لكل نجمة مكاناً في نهارنا  
وأبقينا موتانا بلا قبور

كتبنا جميع أسماء الورود على الجدران  
ورسمنا الحشائش- طعامنا المفضل- نحن الخراف  
ووقفنا نفتحُ أذرعنا للهواء حتى نبدو مثل الأشجار.  
كل ذلك من أجل أن نحول الأسوار الى حدائق.  
ثمة نحلة ساذجة صدقتُ فارتطمتُ باتجاه ماظنته زهرة  
أما كان ينبغي للنحل أن يطير أعلى من الأسوار؟

طوابير طويلة أمامنا.  
واقفين.. نعدُّ الطحين بأصابعنا  
ونقسمُ الشمس في الأواني المستطرقة

ننامُ واقفين في الطوابير  
ويفكرُ الخبراء في تصميم قبور عمودية  
لأننا سنموت واقفين.

نحن ديكور ينقصه كل شيء  
موجودون لولا وجود السياسة

أزهارنا تتسلق الجدران في الحلم

أرامل يحلمن بلقالق تقذف بالغايبين من المدخنة

ويتامى يدخلون الأنفاق معتقدين انها قبلات طويلة.

كل يوم نحمدُ الله، ونتلقى بصقةً من الشيطان  
اذ نصلي من أجل الوطن- فردوسنا المفقود.  
كل يوم يملأون الجرار بحروفٍ أو حروب  
كل يوم نكسر الجرار.

تجارُ الحروب يبيعون الهواء  
ويمجدون أوسمةً من تنك  
وبناتُ يمشطن الحنطة كل يوم  
وينخلن الغيوم في الأواني  
فيبزعُ القطن على رؤوسهن فجأة  
مثلما تبزع الثوراتُ بثوب أبيض  
فلا تعرفُ البناتُ إن كان كفناً أم ثوب عرس!

\* \* \*

لم يصدق الشهيد عينيه عندما قُصف قبره  
وهو يصفّر اكليلاً لحبيبتة  
أحمر اكليلها  
لكنه، في الطريق الى السماء، تحوّل الى بياض.  
ينحني الى الماء ممسكاً بقوس قزح صغير  
هكذا يعزف.  
يرفع يديه الى الغيوم ويصفّر من دمعها زهرة  
هكذا يغني.

موجة تتكسر خارج البحر  
هكذا أمضي.

\* \* \*

أحلم أن أذهب الى مدن بعيدة،

كانت معلمة الجغرافية قد أشارت إليها في الأطلس.

- ما الجسر؟ تسألني

- الجسرُ انحناءةٌ أم أمام طفلها المتساقط مع أوراق الشتاء الميتة،  
دمعتها ارتعاشة طيور مبللة.

- ما الشط؟

- الشط قلب لم يحتله أحد

ومع هذا بقي ممزقاً بين جميع من ادّعوا سيادتهم عليه.

سلالاتُ جاءت وانقرضت والشط يلعب بالحصى،

غير مبال بكل الحروب التي تجري على ضفتيه.

مرات يقول لنفسه: يالهم من حمقى، هؤلاء الرابضين دوماً على يميني وعلى يساري.

هل أرمي بهم الى الحصى التي كانت في قديم الزمان أجداداهم؟

هذه الحصاة الكبيرة ذات النتوءات كانت يوماً ملكاً

وتلك البيضوية المساء كانت أميرة

فمتى يعرف أولئك الحمقى انهم في النهاية

سيستقرون كلهم عند أقدامي؟

\* \* \*

تجمعتُ شظايا الزجاج والحكايات والطيور وصيحات الناس

حول تلك المرأة في فندق الرشيد.

كانت ميتة.

كم موحش كل صخر لا تطلع منه زهرتك

يابلدي

وكم تدبل!

\* \* \*

أراد الأب أن يفعل شيئاً من أجل أطفاله

فأرسلهم جميعاً الى الملجأ

ونام

رأهم في الحلم ملائكةً شفافة تخرج من فوهة بركان  
تبيس الدم في عروقه قلقاً حتى تحوّل الى حجر صغير  
جاء طفل ورمى الحجر بالمقلاع فأستقر عند فوهة بئر  
وبذلك أصبح مُطلاً دوماً على هاوية سحيقة.

\* \* \*

أطفال الحي يطرقون أبواب الليل طلباً لشمعة

والبيادق ينسحبون من الرقعة بلا أحذية ولا أحلام..

هذا عالم يؤمن بالديمقراطية لذلك مُنح الموتى حرية التنزه في المدينة.

دائماً أقوم من مكاني وكأنني بصدد أن أفتح النافذة.  
ربما ولدتُ لأفتح النافذة  
أو لأتنزه.

وحدي أحصي الحروب- الأشجار  
التي نثرت ثمارها أمام الأطفال  
أكلوا منها فشاخوا مباشرةً .  
مرةً ثماركم  
فمتى تربيون الأطفال بعيداً عن الأشجار؟

\* \* \*

الموت دائماً يشتاق إلينا  
انه يأتي من وراء القارات  
يقطع المسافات الطويلة وسللة النار في يده  
يعطينا كرات من النار لنلعب بها  
فننسى معنى الشمس!

ظلّ الطفلُ يبحثُ عن قمر شاحب  
رأه ذات يوم قرب النافذة.  
ربما سقط في النوم (ما النوم؟)



ربما أكلتُهُ الديدان (ما الديدان؟)  
ربما اختفى مع الكهرباء (ما الكهرباء؟)  
ربما هدأت العاصفة  
ربما لم تهدأ بعد.

قالوا : املأوا الصناديق بالهواء (شهيق وزفير ولا شيء)  
لمن ولماذا نخزن الهواء؟  
لا ثمار تحمل تاجنا  
ولا ظلال تعكس وجودنا.

ضجيج يملأ المكان وكأن علبَةً قد فُتحت على حين غرة  
فخرجتُ منها أكداًسُ من البشر والسيارات والصناديق  
متجهةً إلى ما لا نعلم  
ولا هم يعلمون.

أيُّ سحرٍ حوَّلَ المدينة التي تضج بالحياة وبالحركة  
إلى أميرة نائمة  
تنتظر قبلة الأمير حتى تتنائب من جديد!

أيُّ أيدي كانت ترش الموت على الأشجار  
فتسقط حبات قمح من مناقير مرتعشة  
وتجمد عيون الطير المليئة ببيوض مكسورة  
ولأنها عيون خالية من السماء،  
لم ترَ النجوم اللامعة فوق جسر يتدهور.

لقد حوَّلنا الآلهة إلى اصنام  
لكنها نسيت أن تقتل فينا الشعور  
فظلتْ آلامنا شاخصةً إلى الأبد.

لا آثار لنا  
نحن..  
نحن الآثار.

الى أين تسرع بفأسك؟

الحروبُ تتناسلُ  
وتقذف بنا الى الخارج  
أما الآخر فهو يسير على رؤوس أصابعه فوق قبورنا  
عابراً الى حرب أخرى.

\* \* \*

أعرفُ ان يديك خاويتان  
أعرفُ ان يديك لا شغل لهما الآن  
ولكن هذا لا يكفي لأن تمرنهما على التصفيق

\* \* \*

أنت لا تشبه الليل فلم تطلبك الظلمات؟

أين كنت حين أسستُ البحر  
ورسمتُ السماء بجانبه (لأريد الطائرات).

أين كنت حين أسستُ ذلك  
ونقشتُ فوقه دمعتي  
فتدفق نهرٌ من الشمع في المدينة؟  
ظلَّ الشمعة يرتجف!

أين كنت حين أسستُ زهرة  
وطلبتُ أن تقطفها لي؟

أين كنت حين أسستُ الكون؟

في البدء كانت خلية أميبة واحدة لا شكل لها.  
نفختُ فيها دهشتي فنمتُ أشياء عظيمة ومتناقضة،  
حلقَّ الهواء حولها،  
منحته خفةً لا مثيل لها،

طاب لي ذلك فتالأت نجوم من فرحتي  
أمسكتها وعلقتها في الفضاء.  
ومن أجل أن أتخلص من فوضى الكتلة الواحدة المضطربة، فصلت بينها،  
فتدحرجت كرتان مشعتان سميتهما الشمس والقمر،  
منحت النهار واحدة والليل أخرى.  
التفت الى جميع أعمالى والى ما عانيت من التعب (فاذا الكل باطل وكأبة الروح)  
تأفت فكانت الريح.  
بكيته فكان المطر.  
نفخت في المياه أحلامي فسبحت أسماك بحراشفها الملونة  
وفاضت البحار عن حيوات متنوعة.  
منحت الطيور للهواء والدواب للأرض  
ثم أخذت حفنة من التراب وعجنتها بدمعي،  
نفخت فيها فكان كائن يشبهني.  
أكملت لوحتي واسترحت في اليوم السابع الذي قدسته بأن جعلته عطلة  
أصابني الملل فمزجت النار والهواء والماء و التراب  
وها أنى أشم رائحة الأنقاض.  
ندمت على جميع أعمالى فرسمت الطوفان  
ولبثت سبعة أيام أخر قبل أن "أطلق الحمامة من التابوت."  
ارتفعت المياه حتى كادت تغرق السفينة الوحيدة في اللوحة.  
سرت تاركة خلفي مدينة يتصاعد منها البخار.  
لكنى التفت الى الوراء رغم الصوت القائل:  
"كل من يلتفت الى الوراء يصير تمثالاً من الملح."

ركضت وأقدامى تراوح في مكانها  
وفي فمي طعم غريب وأحاساس غامض بالذوبان في الماء.

آه.. كيف جلست وحدها  
المدينة الكثيرة النفط والكروب؟

دمعتها خرجت تحمل لافتة تقول:  
"الحكمة خير من آلات الحرب وخاطيء واحد يتلف خيراً جزيلاً.."  
قلت: فلأشطب اذن سلالة النار ولأضرب المياه بعصاي لئلا تنقلب دماً.

ومضتُ سبعةً أيام  
بعدها ضربتُ الماء، فماتت ذرةُ الاوكسجين وتقافزت ذراتُ الهيدروجين تولولُ.  
نثرتُ الغبار لعناتٍ على الشعب، فمضوا ثقيلي الأحمال.  
كلُّ واحدٍ يحملُ وزره.  
ومضيتُ أحملُ الشعبَ- وزري- وزادت الأحمال حتى غطى الغمامُ البيوت.

- متى نخرج؟  
- عندما يرتفع الغمامُ عن المسكن  
- وإذا لم يرتفع  
- ننتظرُ أن يرتفع.

ونفخوا في الأبواق ليرتفع الغمام.  
لقد ارتفع، فما بالهم ما انفكوا ينفخون في الأبواق!

خرجوا تتقدمهم توابيت تبحث عن مكان استراحة.  
تدمروا وصرخوا: "لماذا أتينا الى هذه الدنيا حتى نسقط تحت السيف  
ويصير أطفالنا غنيمة؟"  
وارتفعوا الى الغمام.  
ارتفعوا..

\* \* \*

منذ متى وأنا هنا  
أمتطي "آلة الزمن"؟  
أقفز بها الى المستقبل  
فأجد نفسي وقد تحولتُ الى جنين في بطن الحوت  
سأولد عما قليل  
وأكتشف العالم من جديد  
أمل أن أعيش هذه المرة بلا كلمات  
فهذه الكائنات المدمرة لم تدع لي وقتاً للفعل  
وأنما سحبنتني الى الأعماق مع باقي السلالات المائية  
ويبدو انني ساتي مع مواليد برج الحوت في كل مرة

فها هو اله البحار نبتون  
يكتب اشياءه على جيبيني.

أعدتُ أَلتي الى الورااء بقوة  
فرايت اوتونبشتم يكشف لكلامش سراً من أسرار الآلهة  
قال: "سأكشف لك ياكلكامش الكلمة السرية  
أحكى لك أنا سر النبتة  
هذه النبتة كالشوك في أعماق البحار  
انْ توصلتُ يداك للحصول عليها  
فستحظى بشباب دائم.."

ورأيتُ سيدة الماء  
وهي تهبني كلمة السر  
من خلال محارة وضعتها على أذني  
ودعتني اسمعُ شفرة البحر..  
قالت: "أردتُ أن آتي اليك بالبحر  
ولكنه كان مشغولاً بالأعاصير وعناق الغرقى  
وذاهلاً في سكره  
لقد ارتشف القمر قطرة قطرة  
سرقَتْ صوته المخبوء في نبض محارة  
وجئتُ به الى الموجة الهاربة  
وعلى شرفات الماء، اختطف الحوت عشبة البهجة من يدي  
واختفى في اعماق البحر.  
هذه حبة رمل نسيها الحوت على جيبيني  
عندما قبّلني تحت اقتران المشتري بالشمس ووهبني كلمة السر الوحيدة."  
ظلتُ المحارة تهمس في أذني كل يوم بسر جديد.  
قالتُ لي ذات مساء ان النقطة أصل العالم.  
حين تتأبّت النقطةُ واستيقظتُ من غفوتها  
بعد انتهاء مفعول السحر الذي جمّد روحها مُدداً طويلة،  
أبصرت الفضاء اللامتناهي حولها.  
تحركتُ فتركتُ أثراً هو نقطة أخرى نقيضة.  
التفتتُ الى الورااء وقد امتدتُ علاقةٌ - هي خط مستقيم- بين النقطتين.

في منتصف المستقيم تماماً، تجلس قوةً مركزيةً تحيطها هالةٌ من نور وترفعها ثمانية أسرار  
بجلال ومهابة.

نقاطٌ ذكية كشفتُ نصف الأسرار  
وظلَّ نصفها الآخر عصياً على التفسير.

النقطة المركزية تحتمي بأسرارها المتبقية

وتعزم على أن تسدل الستار الكامل لحظة الكشف عنها.

كشف السر هو لحظة النهاية التي تضع الحد الفاصل بين العتمة والضياء،

فلا يتناوب الليل مع النهار بل يقتسم الليل نصف الكرة الأرضية الذي أدار وجهه عن الشمس  
الى الأبد

وسيكون النصف الآخر من نصيب النهار دائماً

وسيطلق على سكان القسم الأول أصحاب النار أو العتمة وعلى سكان القسم الثاني أصحاب  
النور أو الجنة.

أما أولئك الذين يقفون على الخط الفاصل تماماً بين النار والنور فهم في المطهر حتى يُتاح  
لهم- بفعل نفخة بسيطة- الانزياح قليلاً الى أحد الجانبين.

اذن هناك قوة سحرية جمّدتُ روح النقطة

وقوة أخرى مقابلة أعادت اليها الروح فثاءبت.

التثاؤب أول اليقظة وأول الحياة .. تعقبه الحركة..

الحركة تترك أثراً .

العودة الى نقطة الحركة الاولى تؤدي الى الفناء لأن الازاحة في هذه الحالة تساوي صفراً

لذلك فإن لحظة الفناء ستأتي عندما تلتقي النقطةُ نقيضها (أو اثرها) تاركةً موجاتٍ

كهرومغناطيسية، وهذا ما يؤكد علم الكيمياء الذي يقول أن الالكترتون ونقيضه يولدان معاً في  
اللحظة نفسها وفي المكان نفسه ويموتان معاً لو تقابلا في أي زمان ومكان.

فكرتُ بذلك عندما أَلقتُ قوات الحلفاء 88 ألف طن من القنابل على بلاد النهرين

فظهرتُ في الجو اشعاعاتٌ ملونة مختلفةٌ انطلقتُ بسرعة الضوء أو الخوف

وتركتُ طاقةً لا تُفنى.

هي فكرة قابلتُ نقيضها فتحولتُ الى اشعاعات تُهلكُ الناسَ والحجارة.

ولكن المادة بفنائها قد حررتُ طاقةً هائلةً أربكتُ تجاربهم وهم يحولون صورنا في المختبر الى  
النيجاتيف.

يُقال أن الميت طاقته صفر لانه لا يستطيع أن يُخرجَ لسانه أو يحركَ شفثيه.

نحن موتى ونملك طاقة.. هذا هو الفرق.

أما هذه الثقوب التي أحدثتها القذائفُ في الروح وفي الحجر فهي ليست تجاويف فارغة ميتة.

انها تماماً مثل الثقب الذي يتركه الالكترن السالب حيث سيظهر في مكانه، في اللحظة نفسها، جسيم بصورة معكوسة هو البوزيترون الموجب.

هذه الفجوة التي يتركها الالكترن أو القديفة لها وجود لا يمكن محوه أبداً من محيط المكان. بل ان اصطدامها أحياناً بجدار الذاكرة يولّد شرارةً حارقةً تومض عكس عقرب الساعة. تقاطعت الخطوط المستقيمة مما أدى الى انشطار كل نقطة تقريباً الى أعداد كبيرة من النقاط المماثلة التي أخذت تلتقي وتفترق وتهز رؤوسها الصغيرة في الفراغ .

أما النقطة المركزية فقد دخلت في "غرفة الغيوم" التي تتوجه منها المسارات الكونية وصارت تبكي من هول ما حدث فهطل مطرٌ عظيم وتجمعت القطرات ليتكون عالم مائي كبير انبثقت منه كتل يابسة هنا وهناك تعلوها أقواس قزح.

تتأثرت النقاط، بعضها في الماء وبعضها في اليايسة، وأخذت تقوم بأفعال مختلفة أو متشابهة موجهة من الأشعة القادمة من "غرفة الغيوم."

تمضي النقاط ضمن مساراتها المحددة حتى تصطم بنهاياتها الصلبة فتتوقف عن الحركة، أما طاقتها المتبقية -رمادها- فلا تفنى بل تتجسّد وتمر بغربال الضياء فيتحدد دورها القادم بحسب كمية النور التي تنبعث منها.

أعبثُ بالآلة فتتلاحق الصور وتتراكم الأعداد.

الأعدادُ غريبة- نحسبُ بها ولا نقدر أن نحسبها- ما معنى لا متناهية؟

الأشكال الهندسية لها أبعاد محددة لكنها في الحلم تصبح دائريةً حيث تخرج الروح من بيتها- الجسد- وتتجول في عالم بلا أبعاد ولا نهايات.

تذهب الى الخلف أو الى الأمام فتري أحداثاً قبل وقوعها بدقائق أو أيام أو قرون، فتعيش ومضة المستقبل الذي يكشفُ غطاءه لذبذباتها المرهفة.

أديرُ مؤشر الآلة الى العام ١٩٩١ فتتعرض عتلاتها الى اهتزازات شديدة وتكاد تلتهمها النيران. يا إلهي.. انها تهبط تحت الأنقاض.. انها تنفكك وتنزع عنها تحولات الأحداث والصور مثلما يفعل القمر في يدي..

القمرُ دائري (ويصير قوساً أحياناً) وكذلك حبات الأسبرين وقطرات المطر والعجلات والفقاعات (قبل أن تنفجر) لكن الصفر هو وحده الذي يحقق اللانهاية..

لاحظُ أن قسمة أي رقم طبيعي (ماعد الصفر) على نفسه يساوي واحداً

أي اذا فرضنا (س) عدداً طبيعياً (ماعد الصفر)

فان  $s / s = 1$

بينما صفر / صفر = مالانهاية..

تمنيتُ أن أدير مؤشر الآلة الى عام صفر ولكن الكارثة التي حللنا عندها قد عطلت كل شيء مما جعلني أعجز عن تحريك الآلة الى الماضي أو المستقبل.. بل انها لم تعد تعمل على الإطلاق.

لقد توقفتُ عند هذه النقطة الحرجة من التاريخ حيث درجة الازاحة تساوي صفراً.

\* \* \*

بعربة يجرها خيط دخان  
وصلتُ الى لحية جدي التي كان يمسك بها كلما سمع صافرة القطار.  
قال لي: "لاتبتعدي كثيراً لئلا تبتلعك نبتةٌ غريبةة."

تركتُ لحيته الى دولاب هواء علمني أن العالم مستدير مثل خوفي.  
سمعتُ أمي صافرة القطار وقالت أن أباهما قد ابتعد كثيراً  
فقفزتُ من حضنها وذهبتُ أفنش عن النبتة الغريبة التي ابتلعتُ جدي.  
قابلتُ الهاوية وجهاً لوجه  
وقد أقنعتني بأني أسير بالمقلوب  
ولا أعرفُ الأشياء الأبعد وقوعها.

كان القارب مقلوباً وكأنه تكشيرة النهر  
لكنتي حين مضيتُ بعيداً صرتُ إحدى أسنان القارب  
وبدا الماء مبتسماً.  
رأيتُ البلاد جميعها في الخريطة  
مسكنها بيدي.  
كان طائر ما قد فعل "فعلته" على الخريطة  
قبل ان ألتخها بالحبر الأبيض.

كم غيمة تنقصني لأمطر أمنياتي على المدن؟

كم هجرة تنقصني لأصنع الآيات؟

لماذا ألامُّ اذا ابتعدتُ عن مرايا تعكس ما لا أرب؟  
تُرى، ماذا يحدث اذا فكرت المرايا أن تنظر الى نفسها؟  
هل ترمي بنفسها في النهر مثلاً؟

هكذا تمضي حيواتنا..

مثل هذه الانحناءات المائية التي تظهر أيضاً في تخطيط القلب حيث تبرز- عند كل صعود  
للخط- عبارة "كيف الحال؟"



لا أدير خدي الآخر عندما أتلقى صفةً  
لأنني أسرح وأرى القمر يسقط مثل دمة.  
القوس متوتر بما يكفي لإطلاق الأغاني .  
من جوفي أطلقت الأرض بعيداً.. بعيداً جداً.

شيءٌ ما يتدحرج في الأفق ويشدُّ إليه المعادن جميعاً  
لمعانٌ متعبٌ يدفنُ أرقاماً بلا نهاية.  
مكائنٌ تدور أسرع من نبض أحلامنا المخفوق  
أسلحةٌ بأجنحتها السود في طبقة سفلى من جهنم.  
أقنعة تتدلى في البرزخ.  
أفواه تنفتح وتنغلق مثل مزلاج في باب خشبي قديم  
ولحيٌ تلعب الدومينو مع أهل الكهف بانتظار معجزة.

أمضيت وقتاً من الرحلة في قراءة لوح من سفر "تثنية الاشتراع":  
"ويسوقُ الربُّ عليك أمةً من بعيد، من أقاصي الأرض، كالنسر الملق، أمة لاتفهم لغتها، أمة  
صلبة الوجوه لاتهاب وجه شيخ ولاتشفق على طفل، فتأكل ثمر أرضك حتى تفنى ولا يبقى لك  
قمح ولا نبيذ ولا زيت ولا نتاج بقر وغنم. تبيدك وتحاصرك في مدنك كلها حتى تسقط أسوارك  
الشامخة، تحاصرك في كل أرضك التي يعطيك الربُّ اياها..."

كنتُ أحرك المجذاف حين مرَّ حاملو تابوت على النهر  
"فوقف الماء المنحدر من الأعالي وقام كتلة واحدة"  
رأيتهم يرفعون حجراً قائلين انه تذكّار من المياه التي انفلقتُ أمام التابوت.  
وما أن نقلوا أقدامهم الى اليابسة حتى رجعت المياه الى مكانها  
وجرتُ كما كانت تجري.  
رأيتهم يحفرون قرب نخلةٍ بها مرض انحاء الرقبة.  
أنزلوا التابوت الى الظلمات  
ثم سدوا الحفرة بالحجر(تذكّار المياه وهي تنشقُّ).  
تناثرَ بعض الرطب على القبر وكأنه يريد أن يحلي مرارة الموت.

تقدّم رجلٌ من الحجر وأزاحه قليلاً  
وأخذ يخاطبُ المرأة الميتة التي كانت تتعرض في اللحظة نفسها للحساب  
وكانت منشغلة بصياغة أجوية للسماء.

قال الرجل الأرضي: أنتِ يا من خرجتِ من ضلعي  
أما كان حرياً بكِ أن تعودي  
الى هذا الضلع بدلاً من العودة الى التراب؟

قال الصوت السماوي: أنتِ أيتها المرأة  
لماذا قبضتِ روحكِ قبل الموعد المكتوب؟  
وماذا تركتِ لملاك الموت أن يفعل؟

قال الرجل الأرضي: أ كان ينبغي ذلك حقاً؟  
لو كنتِ صبرتِ لحظاتٍ فقط  
لملأتُ ساعاتكِ بقوس قزحي  
وبنور ملونٍ كلما لمستِهِ تدفقتُ عيونُ ماءٍ  
وجناتٌ تجري من تحتها الأنهار.

قال الصوت السماوي: مَنْ ذلكِ على المكان الذي لن يصيبك فيه  
مرضٌ ولا شيخوخة ولا ملل ولا فناء؟  
مَنْ؟

قال الأرضي: كانتُ لنا أعيادنا ونجومنا التي نضيؤها للشجرة  
فلماذا أطفأتِ الأنوار وأسدلتِ الستارة على الحياة؟

قال السماوي: لماذا حرّضتِ البحار على الطوفان؟  
وجعلتِ زهرة عباد الشمس تلتفت الى القمر؟  
والجبل ينتفض من أجل نملة بطيئة لم تصل الى قمته؟

قال الأرضي: اني أتذكّرُ تلك الأيام الحلوة التي قضيتها في الجنة  
قبل أن أعرفكِ وأطرد بسببكِ  
ليتني لم أسمعُ كلامكِ.. فما الذي جنيتهُ غير الشقاء؟

قال السماوي: لماذا أغويتِ رجلكِ بالخروج من أرضه الطيبة؟  
بسببكِ كانت النار التي عكّرتُ صفو السماء.

قال الأرضي: هل أنا أحد مخلوقات برومثيروس حتى تغضب عليّ الآلهة

وتهدى اليّ هذه "المرأة" التي دقتُ أجنحتي على الحائط  
ونزلتُ هي، بكل ثقلي، الى الحفرة؟

قال السماوي: لقد خُلِقَ الطيرُ قبل البشر  
لذلك لابد للانسان أن يتخلف عن الطائر  
فلماذا خالفتِ الطبيعة واستبدلتِ بالأجنحة  
كل ما تيسرَ للانسان من عطايا؟

حملَ السماويُّ المرأةَ بأجنحتها البيض الى الأعالي  
أما الأرضيُّ فدخل في الشجرة لينبت له ضلعٌ جديد.

حدقت الى الأعالي  
كان نورس يرافق القارب طوال الوقت  
ذكَرني بالنورس "جونوثان" الذي غادر السرب  
ليعيش وحده في المرتفعات المطلّة على البحر  
واكتشفَ ان العجز و الخوف الذي يجعل حياة النورس محدودة،  
بسبب القهر الذي يمارسه المجتمع معه،  
يمنعهُ من الطيران  
لكن النورس "جونوثان" يكبرُ من دون أن يشيخ  
بل تزداد طاقاته على التحليق بشكل مذهل  
حتى يصل الى السماء..  
"فالحمد لله حين يطير، ولهُ الحمد حين يهوي."

أحسستُ بأنني أشفى من جميع أمراض  
وأنا أنظر الى النورس يبسط جناحيه في الهواء  
وكل أثقالي تتهاوى وأنا أحلق معه..  
رأيتُ ملوكاً يقتسمون الأرض بالقرعة  
فعاد ذهني الى الورااء ورأيتني، وأنا في العاشرة من عمري، أقتسم الأشياء بالقرعة مع أخي  
الأصغر.

كنتُ أقدفُ القطعة المعدنية، بعد رهانه على أحد الوجهين، في الهواء  
لتعود معلنة فوز أحدنا بأشياء لاقيمة لها.  
مرةً رميتُ القطعة المعدنية بعيداً جداً  
حتى انها اختفت ولم تعد الى قطعة الأرض الصغيرة المحددة بيننا

فأحسستُ براحةً لا مثيل لها- راحة التخلص من رنين القيد.  
طارت القطعة المعدنية في الهواء  
واستعدتُ أنا حرיתי.

بصوتٍ أعلى من نداءات بئعي الماء على الأرضفة  
أتلُفُظُ باسمك أيتها الحرية (ماء بارد)  
بالنيات وحدها تُزاح التلال من أمام المنظار  
وتمضي الأشرعة  
كان على الشراع وحده جفاف وعلى سائر الأرض ندى.

تحكمتُ بعدسة المنظار  
فاقتربت الطيورُ  
صارت عدسةً منظاري هي السماء  
(اعتقد الملاك جبريل ان الطيور هوت الى سمائي؟)  
وابتعدت الأشجار  
صارتُ خطوطاً ثم نقطاً  
وانطلقتُ رصاصاتُ الصيادين الى الهواء بحرية تامة  
(لم يقف شيء في طريقها)  
صار منظاري هو البندقية الوحيدة الموجهة الى الطيور  
لكنها بندقيةٌ تطلق رؤى بلورية شفافة كاتمة للصوت.

رسامٌ واقعي في الخلف هزَّ رأسه حيرة وهو يقلد الطبيعة.  
في اللوحة كان طائرٌ هائل على شجرة متناهية في الصغر.  
أخذ يفكر برسام آخر مجددٌ كان قد قال له بان الطبيعة هي التي تقلد الفن.  
أشفقتُ على الرسام الواقعي الذي فقد صوابه أمام الأبعاد الجديدة  
فغيرتُ عدسة المنظار وقربتُ الأشجار حتى بدت بحجمها الطبيعي  
وأصبحتُ مهددة مرة أخرى بثرثرة الطيور  
والطيور مهددة ببنادق الصيادين

كانت الأشجارُ- قبل تدخل الواقع- قد عاشتُ حيواتٍ مثيرة تُخرجها من صمتها أمام الأجيال.  
فعندما صارتُ نقطاً ، دخلتُ في "سفر القضاة"  
وجلستُ على الحروف مثل عرش أخضر.  
قالتُ لشجرة الزيتون: كوني علينا ملكة.

فقالتهن الزيتونه: أ أدعُ زيتي الذي لأجله تكرمُني الآلهةُ والبشر  
وأذهب لأترنح فوق الشجر؟

فقالته الأشجارُ للتينة: تعالي أنتِ وكوني علينا ملكة  
فقالتهن للتينة: أ أدعُ حلاوتي وثمرتي الطيبة  
وأذهب لأترنح فوق الشجر؟

فقالته الأشجار للكرمة: تعالي أنتِ وكوني علينا ملكة  
فقالتهن للكرمة: أ أدعُ نبيذي الذي يُفرح الآلهة والبشر  
وأذهب لأترنح فوق الشجر؟

خرجتُ من "سفر القضاة" وأنا أفكرُ: أ أدعُ حريتي وأذهب لأترنح فوق البشر؟

\* \* \*

ترنَّح القارب وكاد أن ينقلب  
لأنَّ الآلهة "زيوس" أخرجَ عاصفةً شديدةً من صندوقه السحري.  
لقد جمعَ حوله حاشيته ليشاورهم في طرائق إبادة البشر.  
وقد طرب لاقتراحاتهم ومنها طوفان  
و بروق  
و رعود  
و حروب.  
أشار الى ورقة الحرب وأمر بتنفيذها.

احتشد الخلقُ في بقعة مرتجفين بينما كان هو يراهم من عليائه محض نقاط سود .  
كان أفراد حاشيته يضربون على الآلهة الكاتبة  
بالسرعة نفسها التي تقصف بها طائراتهم الأرض  
كانت الأرض تترنح تحت القصف مثل سكير.  
في الصباح، شرب "زيوس" البحرَ وأكل حورياتِه نخب الانتصار  
وفي المساء تغوَّط قمامةً عظيمةً من القاذورات التي تجمع حولها الذبابُ.  
ضربَ بعصاه السحرية على طيور البجع  
فتحولتُ الى خفافيش متوحشة تنبىء بالقادم قبل وصوله  
ونُصدِرُ أصواتاً مخيفةً كلما حاول كائن أن يفلت من المدار.

انها تطلق كل يوم آلاف الأصوات التي تؤدي الى اختفاء آلاف الكائنات.

أحدهم سمع حشرات في الأسفل  
وعندما وضع أذنه عليها  
عرف أن الأرض عبارة عن صدفة.

في إحدى ردهات الصندوق، هناك نسيج عنكبوت هائل  
وعليه تلتصق أجسادٌ وأحشاءٌ بشرية.  
جاء "زيوس" ووضع اطاراً حول النسيج  
فصارت لوحةً فريدة للفرجة.

وفي ردهة أخرى، يوجد حوض أسماك كبير.  
الأسماك معلقة من زعانفها بخيوط تتدلى من سقف الحوض  
فهو يتضايق من حركتها السائبة في الماء.

في أوقات الفراغ، ينشغل "زيوس" بقص النجوم من السماء  
ولصقها على الأكتاف.  
ويبدو انه كثيراً ما يمارس هذه الهواية  
بدليل ان السماء قد فقدت أخيراً كل نجومها.

كانت نموره تروح وتجيء في أقفاصها  
في الليل تلتهم الغنائم  
وفي الصباح، عندما يمرّ هو من أمامها، تموء.

هذه النمر تُلقي دروساً في فن الترويض  
أمام جدار عليه صورة الاله "زيوس"  
وهو يحمل سوطاً في يده وذهباً في اليد الأخرى.

مسلتهُ السوداء باضتُ عليها الأفعى ما لا يُحصى من القوانين  
فكلُّ كلمة يتقوهُ بها بيضةُ أفعى.

هو يملك مرآة سحرية  
ينظر اليها فتنعكس صورته في كل الجهات  
لذلك فهو يُرى في كل مكان في وقت واحد.

انه يسمع كل شيء في كل لحظة  
واذا نزلت لعناته وتعالى زبيره فان كارثة تحل في المكان.  
واذا اثار للنور قائلاً هذا ظلام فان النور لن يرى النور ابداً .

لقد البس بعض كائناته خرقة ذهبية  
ونصبهم في الحقل بمثابة فزاعات  
وكم تحس هذه الفزاعات بالوحشة فلا أحد يقترب منها ابداً .

كلما بعث بأحدى صواعقه من الصندوق،  
قدم الحشد ندوره من الذهب والفضة والبنين  
ومجد تاريخ الساعة بابتهاالات عامة كل سنة.

هياكل عظمية تعثرت في مسيرتها اليه  
فاخذ يعزف عليها بأنامله  
ويستخرج الأناشيد من جوفها الفارغ .

قبل يوم القيامة ، أرسل زيوس أحد أفراد أسرته وهو برومثيوس لسرقة النار من جهنم  
فأناه بها مرتجفاً .

حكم زيوس على سارق النار بالموت حرقاً  
ثم قدم هديته الى البشر حمماً بركانية تتوهج هنا وهناك.  
خرجت الجموع وفي ثيابها النار تحيي الحرائق ومشعلي الحرائق.  
في جولاته الى الأعلى، تنحني الآلهة  
ويصعد أحدهم على أكتاف الآخر  
ليتمكن هو أخيراً من الصعود الى ابليس.

مرة وضع الجحيم في جيبه  
ونزل ينثر على البشر شراراته الجهنمية.  
مد يده للتحية فنزل عليها المطر.  
أحد المجانين صرخ بان الغيمة تبول في يده.  
أمر زيوس بإحراق الغيمة على مرأى من الجميع  
ونثرها في البحر.

وحينما اضطربت الموجات حزناً، أحاطها بالأسلاك الشائكة.

على شاطئ البحر كانت صدفة كبيرة  
بداخلها بروتوبلازما الشعر.  
أحد ما أتى بها اليّ وربط مادتي الحية بخيطها اللامرئي  
فشعرتُ بأني طائرة ورقية  
تنظر الى العالم من فوق.  
وأني، كأى طفلة، أشياء صغيرة تجعلني أحلق أو أهوي.

صدفة الشعر هذه سحبتني من أو الى كل شيء  
ولم تدعني أفعل شيئاً غير العبث معها وتمجيدها.

وقد حاولتُ مراراً التخلص من قوتها المغناطيسية ووطأتها الشديدة عليّ:

أولاً، مارستُ رياضة اليوغا  
لإفراغ ذهني من كل ما يتعلق بها  
لكنها استغلت حتى هذا الفراغ أو اللاشيء وحولتهُ الى شيء خاص بها.

ثانياً، جلستُ مع نسوة عديدات  
لعل أصواتهن تتداخل مع تلك الثرثرة المائية  
التي تطنّ في أذني طوال الوقت  
ولكنني لم أسمع شيئاً من أحاديثهن  
لأن ذهني كان غزلاً شارداً.

ثالثاً، أعلنتُ توبتي  
وتلوتُ "فعل الندامة" أمام الكاهن الذي قال: "اعترفني بالمزيد."  
اعترفتُ: "لقد دخلتُ في التجربة."  
رسم إشارةً معينة فوق رأسي  
وجعلني أصلي

لم يكن يدري ان الصلاة بطقسها الانفرادي  
لا تختلف عن فعل الصدفة الذي جئتُ أتوبُ منه.

رابعاً، فكّرتُ أن أدحرجها على الرمل  
لكن نواتها الثقيلة وفعلي المتكرر ازاءها



جعلني اعتقد بأنني أحرك صخرة سيزيف.

خامساً، لجأتُ الى عزّاف  
لعلّه يخبرني متى سينقطع الخيط.  
تمتمَ بكلماتٍ مبهمّة  
ونظر الى كفي قائلاً  
انه يرى خيطاً عميقاً واحداً تحيط به خطوط واهية  
مثل خربشات.

سادساً، مسكتُ بها لأرميها في البحر  
غير اني وقفتُ مبهورةً بسحرها وجمالها  
وقد أخذني بهاؤها كأنني أراها للمرة الأولى.

سابعاً، دخلتُ في مثلث برمودا  
لعله يمتصّذبذباتها الصوتية ،  
لكنه اتخذ شكل صدفة كبيرة احتوتني بداخلها.

وبعد أن باءت محاولاتي بالفشل، جاء ذلك "المجهول"  
وأغلق علينا الباب، أنا والصدفة،  
وقد أوحى صوت المفتاح الى أن الهرب محض خيال.

بيد أن الصدفة حملتني، وكأنها مركبة فضائية،  
الى كوكب آخر مليء باللالئ والأعشاب البحرية  
كوكب مائي ليس فيه شيء ثابت قطّ  
بل خلايا أميبية قابلة لاتخاذ مختلف الأشكال والأحجام .

هل يمكنك أن ترسم أمطاراً لاتهطل  
وريحاً لاتتحرك؟  
ذلك مارأيته هناك.

ورأيتُ أيضاً أحجاراً كريمةً  
تعلوها اشراقات فذة وشموسٌ ورقية.  
كانت هناك أنهار في كل مكان

ولم يكن العبور عليها يحتاج الى جسور أو الى اية وسيلة أخرى.

أما سكان الكوكب  
فيحملون جراراً مثقوبة يملأونها من مياه النهر  
وعلى الرغم من احساسهم بعبث ما يقومون به،  
لا يملكون الا أن يحملوا جزارهم المثقوبة  
والذهاب بها الى النهر كل يوم.

استلقيتُ على الماء في اغفائة قصيرة  
رأيتُ في اثنائها نفسي وهي تطوف في كوكب الأرض  
وتتحدث مع الناس عن كواكب أخرى.  
أخبرتهم بأنني الآن في الحلم واني لا أستطيع أن أراهم الا من خلال هذا الحلم.  
قلتُ لأحدهم اني أعيشُ في صدفة كبيرة  
واني آتي هنا كلما أغفو.  
قال اني صحتُ توأ  
لكنني بقيتُ أحدثهُ عن حياتي التي هناك  
واني الآن هنا حسب طول الحلم.  
جلب ابرةً وحقنني بها.  
لم أعترضُ لان الألم ليس حقيقياً في الحلم  
ولم أبالِ لأن كل شيء سيزول حالما ينتهي الحلم.

هناك في الجانب الآخر، تفجرتُ من الصدفة براكين ماء  
غطتُ أعماقاً من ظلمة ونور  
ثم هدأتُ وانحدرتُ الى احدى السواقي.  
بين خطوة وأخرى توجد ينابيع  
لذلك يكفي أن تسير حتى يتحول المكان الى نافورة.

الطبقات الجوية في الصدفة خاصة بالأطفال  
لذلك لا يمكن لمن يكبر أن يعيش فيها.  
أطفال لا يفهمون القوانين  
ولا يجيدون غير اللعب  
واطلاق بالونات و أسئلة.  
يمضون ولا ينتظرون جواباً أبداً.

يدحرجون الأناشيد الزبّيقية الى أمام  
ثم يملّون منها  
فيهجرونها في أوان مستطرقة مهملة  
فتنقد الأواني خصائصها وهي تحوي الأناشيد غير المستقرة أبداً.

يضرّبون قوس قزح بسهامهم  
فتنبعث موسيقى ملونة  
تساوي الصمت في قيمتها وبهائها.  
لهم عيون عجيبة  
تستطيع رؤية أصغر الأشياء والذرات  
من دون عناء أو مجهر.  
بنظراتهم تتدحرج الصخور  
وكل ما يلمسونه يصير زهرة  
طوفان من الأزهار حملوه من الصدفة الى الجنة.  
ينزلون الى النهر فتتجدد أوراقهم التي تعكس، على صفحات النهر،  
كلّ ما تطيرُهُ أيديهم في الأفاق  
يلوّحون بمناديلهم الشفافة  
فتخرج منها كلمات فوق بنفسجية  
تبرز أيديهم فوق الماء  
وكأنهم يوشكون على الغرق  
ولكن ما أن يهرع مخلص اليهم حتى يدرك انها أيدٍ لاتجيد التعلق بأية قشة  
وانها هكذا مرفوعة دائماً وكأنها تحيي الأبدية.

يمشون على الماء  
خالي البال والأيدي  
يكتشفون العالم وكانهم جاءوا تواء الى الدنيا  
وفي اليوم التالي يكتشفونه من جديد  
يملكون عصا من الأس  
لا يشيرون بها الى شيء محدد  
إما لأنهم لايعرفون الحدود  
أو لأنه لاتوجد نقطة ثابتة يمكن الاشارة اليها.

أطياف من عصور سالفة نقشوا رسوماً على الجدران.

مررتُ من أمامها فنهضتُ من غفوتها الطويلة  
وحيتني بإيماءات رقيقة  
وابتسمتُ لها.

قلتُ سأنقش رسومي أنا على الماء  
لأضمن لها توتراً ابدياً.

ليست هناك عبارات معينة يتم تداولها في عالم الصدفة المائي  
فبإمكانك أن تقول مثلاً أن الساعات عاطلة عندما تريد أن تقول ان الظلام سيحلّ بلا نجوم  
هذي الليلة

وأن تقول أن الأسوار لا مبرر لها عندما تريد أن تغازل الوردة  
وأن تقول ان الغيوم ملأت المكان عندما تريد أن تقول إنك نسيت..

النسيان هو مهنتي هناك  
ومن المصاعب التي تعترضني انني كلما أغفو وأنزل في حلمي الى الأرض،  
يسألني السكان عن التفاصيل  
وهم لا يعلمون انني كنتُ، طوال الوقت قبل ان أراهم، لا أفعل شيئاً غير النسيان.  
لذلك تراني أكرر لهم دائماً أن الغيوم ملأت المكان.

عندما تموت اللغةُ، يدفنها الأرضيون في القواميس  
بينما لا تملك اللغة قبراً في عالم الصدفة.

احدى اللواتي زحفنَ من كوكب الماء الى كوكب الأرض  
(بفعل عوامل بيئية بحثة)

قرأتُ في القاموس انّ "الشعر" كلام موزون مقفى  
لم يكن الشعر يخضع الى تعريف في اثناء حياتها المائية السابقة  
ففي الصدفة، كانت ربّاتُ الشعر يضعنَ الشحنات الشعرية في سلك غير مرئي  
وما أن تستدلّ عليه حتى يغمرك الضياء أو تموت.  
وأدرك البرمائي ان الشعر اذن قد تحول، على يد واضعي القواميس " من الحالة الغازية الى  
الحالة السائلة ثم الى الحالة الصلبة  
بينما التسامي هو التحول من الحالة الصلبة الى الحالة الغازية من دون المرور بالحالة السائلة  
اصلاً.

رمى القاموس في البحر

وتأملتُ الكلمات وهي تكبر مع الدوائر وقد كساها الملح.  
كانت الحروف تغيّرُ أمكنتها  
فيتحول الم ل ح الى ح ل م  
كانت الحروف تُمسك بعضها بعضاً  
وترقص في حلقات دائرية بلا نهاية  
مثلاً تظهر الكلمات على شاشة حديثة لا تتدخل فيها الأصابع.  
ولم أفعل أنا شيئاً.

في يوم من أيام طفولتي، وأنا أرمي الحجر في البحر،  
ارتبكت الحروف والدوائر  
وفلتت من أيدي بعضها بعضاً  
انتشرت حروف ال ب ح ر، وهي في قمة اضطرابها،  
وتجمعت أمامي على شكل ح ر ب

قوة رهيبية دفعتني من أو الى بطن الحوت  
فعرفت أن الجحيم هو ألا أصحو من الحلم أبداً.

لقطات كثيرة مرت من أمامي.  
لقطات غير مترابطة وكأنها مقتطعة من ملايين الأفلام.  
لقطة أناس يبتسمون في وجهي  
ولقطة آخرين ينظرون اليّ شزراً.

واحد يمسك بيدي ويسحبني وراءه مبتهجاً  
وآخر يرفع يده ثم يحدث صوتاً وألماً في وجهي.

أيدي تلوح  
أو تتوعد  
أو تقيس الحرارة.

تمرُّ لقطة نسوة يلطن  
ويرقصن حول صندوق خشبي.

أحدهم وضعني في صندوق زجاجي

فرايتُ أشكالاً هندسية متكررة  
تتخللها لافتات سود وأضواء باهرة..  
بعضها أضواء محايدة وأخرى منحازة  
تأمرنني بالسير أو الوقوف.  
لم يتبدل اللون الأحمر  
وحين حاولت اجتيازه، تبعثني صافرات وتكشيرات متقنة.  
لقطات كثيرة مرّت من أمامي.

لقطة بيدق في المربع قبل الاخير من الرقعة  
في انتظار النقلة التي سترشحهُ الى أي شيء آخر.

لقطة طفل الثلج وهو يطفر فوق النار.

لقطة غصن يرتجف في عين طائر.

لقطة طائرة تلتهم القنابل ثم ترميها من مؤخرتها الى الأرض.

لقطة قمر ينفجرُ.

أمضيتُ وقتاً طويلاً هنا، بيدي شمعة  
لا تنطفئ أبداً  
ولا تذوب  
مما يدلّ على انني ما أزال في الحلم.

